

الاغتراب الاجتماعي وتأثيره على الهوية الوطنية لدى الشباب الجزائري.

Social alienation and its impact on the national identity of Algerian youth.

محمد لعاقل*

جامعة حسيبة بن بوعلی الشلف (الجزائر)

Lakmoha02@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/05/18 تاريخ القبول: 2023/02/17

ملخص:

شهد العالم في السنوات الأخيرة تغيرات سريعة نتيجة لثورة المعلومات والاتصالات حتى غدت أطرافه المتباعدة كأنها قرية صغيرة، الأمر الذي نتج عنه هذا التطور المذهل في جميع المجالات، ولم تكن التغيرات التي صاحبت هذا التطور ايجابية كلها بل كان له أيضا العديد من السلبيات على الإنسان، وخاصة في دول العالم الثالث الذي أصابته عدوى التغيير بشكل سريع ومفاجئ فاق كل التوقعات ونجم عن ذلك عديد من المشكلات النفسية والاجتماعية منها الاغتراب، وهو اغتراب الفرد عن ذاته ومجتمعه مما أدى أيضا إلى المزيد من المشاكل والانحرافات السلوكية تؤثر على استقرار المجتمع وتهدد كيانه ووجوده، وعلى فئة الشباب خاصة، والذي يلاحظ عليهم هو ضعف شعور الانتماء إلى جميع المؤسسات الاجتماعية مما أدى إلى عدم الالمبالاة وعدم الإحساس بالمسؤولية وعدم وضوح الأهداف، والذي نتج عنه الانطواء والعزلة والسلبية وعدم القدرة على مواجهة المواقف الصعبة والأزمات بين الشباب.

كلمات مفتاحية: الاغتراب، الشباب، الهوية، التنشئة الاجتماعية.

Abstract:

In recent years, the world has undergone rapid changes as a result of the information and communication revolution, so that its far-flung limbs have become a small village. This has resulted in a dramatic development in all areas. The changes that have accompanied this development have not only been positive, but also have had many negative effects on human beings, especially in Third World countries, which have been affected by rapid and sudden change that has exceeded expectations and resulted in many psychological and social problems, including alienation.

Keywords: Alienation, youth, identity, socialization.

مقدمة:

الإنسان كائن اجتماعي يميل إلى التجمع مع الآخرين ومنذ أن وجد الإنسان وجدت العلاقات بصورها المختلفة التي تأثرت بالعوامل الإنسانية والاجتماعية والثقافية، ومع تطور الإنسان واحتكاكه مع الآخرين وتفاعله وانضمامه إلى جماعات متعددة بصفته مدني بطبعه. ومن المعلوم أن حياتنا مليئة بالتعقيدات المادية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وأنه كلما ارتقى المجتمع البشري ازدادت البيئة والحياة تعقيدا، وزادت حاجة الإنسان إلى التربية لتبسيط البيئة وتفسيرها وحل كل مشكلاتها ومساعدته على التكيف معها، وتلعب التكنولوجيا الحديثة دور لا يستهان به في تغيير نمط حياتنا وبيئتنا الحاضرة، وما لم يهيأ الفرد للتعامل مع هذه التكنولوجيا بكفاءة فإنها ستغلب عليه ولن يستطيع الإسهام في مجتمعه بفعالية هذا من جهة، ومن جهة ثانية فإنه سيعاني من مجموعة من المشكلات النفسية بحيث يشعر الفرد بالضيق وعدم القدرة على التخلص من المعوقات الشخصية أو البيئية التي تحول دون تحقيق أي حاجة أو هدف يسعى الفرد لتحقيقها أو ما هو نفسي اجتماعي والمتعلقة بتلك الصعوبات ومظاهر الانحراف وسوء التكيف الاجتماعي التي يتعرض لها الفرد، فتقلل من فعاليته وكفاءته النفسية الاجتماعية وتحد من قدراته في بناء علاقات اجتماعية ناجحة مع الآخرين وكلها حالات لأوجه الاغتراب بأنواعه المختلفة والتي سنحاول تناولها في هذه الدراسة.

1. تعريف الاغتراب:

هيجل: الاغتراب هو حالة اللاقدرة أو العجز التي يعانيها الإنسان عندما يفقد سيطرته على مخلوقاته ومنتجاته وممتلكاته، فتوظف لصالح غيره بدل أن يسطو هو عليها لصالحه الخاص، وبهذا يفقد الفرد القدرة على تقرير مصيره والتأثير في مجرى الأحداث التاريخية بما فيها تلك التي تهمة وتسهم في تحقيق ذاته وطموحاته.

كما ربطها تلميذه فيور باخ بمسألة الاغتراب عن المؤسسة الدينية، بل عن الدين نفسه أيضا معتبرا أن الإنسان يغترب عن نفسه لأنه يعكس من خلال إيمانه الديني أفضل ما لديه وفي نفسه من صفات على ما هو خارج ذاته، فأصبح يعبد هذا الشيء الذي يتحكم بشخصه.¹

أما كارل ماركس فركز على الاغتراب الاجتماعي الاقتصادي الذي تعم المجتمعات الرأسمالية الذي حولت العامل إلى كائن عاجز وسلعة رخيصة، أو أطلق عليه التشيؤ.²

أما ماكس فيبر فإنه أعطى للاغتراب مفهوم واسع وشامل تتصف بها جميع العلاقات الاجتماعية، في حين ربط بين الاغتراب واللامعيارية ويظهر في حالة الانتحار الأناني، انطلاقا من هذه المفاهيم، فإن علماء الاجتماع اهتموا بعزلة الفرد ولامبالاته وغياب المعاني الكبرى في العصر الحديث، أو فقدان التجارب النموذجية كما قال كارل مانهايم.

¹The philosophy of hegel- edited- nith and introd by carlJ- freindrich- Modern library of the word's best books - 239 (new york) - Modern library- Random House- 1954- p p 2 3.

² Karl Marx- Economic and philosophiemanuxripts of 1944- Edited with and introd by Dirk J .Struik- translated by Martin Milligan (New York- International publishers- 1964- p p 106 107.

2. أنواع الاغتراب:

1.2. الاغتراب الوجودي: يرى "محمود رجب" أن هذا النوع من الاغتراب ظهر عند هيفل في كتابه "فينومولوجيا الروح" فقد اهتم في معظم مؤلفاته بالاغتراب حتى أطلق عليه أبو الاغتراب، فالاغتراب بالنسبة له متجذر في وجود الإنسان في هذا العالم، أي عندما تخلق الروح.

وقد ميز "هيفل" بين مجالين للاغتراب هما الاغتراب الإيجابي الذي أسماه بالتخارج وهو تمام لمعرفة الروح بذاتها إذ أن المعرفة المطلقة تتضمن الاغتراب بقدر ما تحتوي في ذلك الوقت على حركة نحو التخطي والاغتراب السلبي هو تخارج لم يعرف ذاته إلا بوصفه حقيقة دائمة على امتلاك العالم، واستدماج الوعي به.¹

والاغتراب بهذا المعنى هو "حالة الوعي التي فيها يخرج عن ذاته ويصبر شيئا وتصبح الروح عندئذ موجودا لذاته وبعدئذ تصبح طبيعة، والطبيعة أي الروح في حال اغترابها ليست في آنيتها الصحيحة، وجودها التجريبي سوى الإغراب الأدبي لجوهرة الحق".²

2.2. الاغتراب النفسي: رغم شيوع مفهوم الاغتراب النفسي إلا أنه من الصعب تخصيص نوع مستقل تطلق عليه الاغتراب التقني نظرا لارتباطه بجميع أبعاد الاغتراب الأخرى الثقافي والسياسي والاجتماعي، فالاغتراب النفسي مفهوم عام وشامل يشير إلى الحالات التي تتعرض فيها وحدة الشخصية للضعف أو للانهييار كما يشير إلى النمو المشوه للشخصية النفسانية في ظل العمليات الثقافية الاجتماعية. وقد أسهمت نظرية التحليل النفسي في تفسير الاغتراب ووحدته في الجوانب التالية:

- حالات عدم التكيف التي تعانيها الشخصية من عدم التفات النفس والمخاوف المرضية والقلق والإرهاب الاجتماعي.
- غياب الإحساس بالتماسك التكامل الداخلي في الشخصية.
- ضعف الإحساس والشعور بالهوية والانتماء، والشعور بالقيمة والإحساس بالأمان.³

وقد تناول فرويد الاغتراب النفسي من وجهة نظر الوعي، وتحدث عن فكرة غربة الذات والاهتمام بالشعور واللاشعور، كما تناول الاغتراب على أنه "اغتراب مرضي"، وتناولت النظرية الفرويدية الاغتراب شعور الذكور بالعدائية نحو الأب والتفاعل مع الأم، والعكس بالنسبة للإناث وهذا ما يسمى بعقد إلكترا وأديب، كما ركزت على فكرة الإحباط من خلال تحضير المجتمع وهذا ما أوضحه فرويد في كتاب الحضارة وتوعكاتها".⁴

وفي ضوء نظرية التحليل النفسي فالاغتراب يظهر فبمعنى اغتراب الشعور (الوعي) واللاشعور بمعنى احتفاظ الرغبة المكبوتة بكامل طاقتها لتظهر حين تسمح لها الفرصة أي عند ضعف الأنا مثل حالة النوم.

3.2. الاغتراب الاجتماعي: في هذا النوع من الاغتراب رأى جل علماء الاجتماع أن ظاهرة الاغتراب تعد من سمات العصر الذي تكثر في هذه المشكلات الجديدة حيث تتعمق الهوية بين الإنسان وذاته وبين الإنسان ومجتمعه وأصبحت المخاطر تهدد حياته

¹ مجدي عبد الله في منصور بن زاهي - الشعور بالاغتراب الوظيفي وعلاقته بالدافعية للإنجاز لدى الإطارات الوسطى لقطاع المحروقات - أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في علم نفس العمل - جامعة متوري - قسنطينة - 2006-2007 ص 10.

² محمود رجب - أنواع الاغتراب في الفكر المعاصر - العدد 5 - 1965 - المؤسسة المصرية للتأليف والنشر - القاهرة - 1961 - ص 21.

³ خليفة عبد اللطيف محمد - دراسات في سيكولوجية الاغتراب - القاهرة - دار غريب للطباعة والنشر - 2003 - ص 97.

⁴ عبد المختار محمد خضر - التطرق نحو العنف - القاهرة - دار غريب للطباعة والنشر - 1999 - ص 47.

وتخلخل وجوده الإنساني، "وهو ما يعني الاغتراب عن المجتمع وقيمه وعاداته ومعاييره والشعور بالعزلة والهامشية الاجتماعية والعجز عن ممارسة السلوك الاجتماعي العادي".¹

أي أن الاغتراب بهذا المعنى عبارة عن تلك الحالة الاجتماعية التي يشعر فيها الفرد بالبعد والانفصال وعدم الانتماء إلى جماعته وأفراد مجتمعه وأنه معزول ومهمش من طرف مجتمعه، كما يشعر بأنه غير قادر على أداء وظيفته في المجتمع والعجز عن التواصل مع مجتمعه.

4.2. الاغتراب الديني: يمثل هذا النوع من الاغتراب (فيورباخ) ففي هذا النوع تتحول الذات من وجودها إلى علام اللاهوت أو العالم الميتافيزيقي من صنع خيال الإنسان، ويرى (فيورباخ) في ذلك "أن الاغتراب الديني يركز على فرضيتين أساسيتين الأولى القصص الدينية روايات لأحداث تاريخية والثاني الاستدلال على قواعد الإيمان بالعقل لأنه حقيقة منطقية".²

وقد ورد مفهوم الاغتراب الديني في المنهج الإسلامي بمعنى إيجابي حيث تتعاضد فيه أعمال الصالحين الذين لديهم وعي روعي فكري، نفسي واجتماعي وجاء ذلك في إشارة الرسول عليه الصلاة والسلام إلى أن الإسلام بدأ غرباً فطوبى للغرباء.³

والغرباء في الإسلام هو (الصالحين الذين ينمون حياتهم بالتنسيق بين أطوار المادة وأشواق الروح).⁴

ولما سأل الرسول من هم الغرباء يا رسول الله؟ قال: "الذين يصلحون إذا فسد الناس"، والغرباء هم فئة قليلة من أهل الصلاح والتقوى، واستجابة للرسول في مبتدأ الدعوة ونأت بنفسها عن الشبهات والشهوات، وما يقصد بالحديث الشريف أن الاغتراب في معنى الدين يتمثل في ضعف العلاقة بين العبد وربّه أي ابتعاده عن الله والمتمثل في ضعف الإيمان،⁵ ولقد ورد الاغتراب في كل الأديان.

5.2. الاغتراب الاقتصادي: لقد ذاع مفهوم الاغتراب الاقتصادي على يد كارل ماركس الذي نشر مخطوطاته الاقتصادية والفلسفية عام 1931، حيث استخدم ماركس مصطلح الاغتراب ليشير به إلى الناتج المغترّب الذي ينفصل عن منتجه ولكنه ينفصل عن وجه الدقة لأنه قد سلمه لآخر وبصورة أكثر عمومية للسوق، أي التخلي عنه.⁶

ومن جهة أخرى فإن البيروقراطية التي تتمثل في الشعور بالمسافة بين العمال والمدير واستغلال العلاقة بين الموظف والمدير في المنظمة هي شكل من أشكال مظاهر الاغتراب إلى جانب الشعور بالانفصال وفقد القوة.⁷

6.2. الاغتراب الوظيفي: يعتبر الاغتراب الوظيفي ظاهرة غريبة جداً ومؤشراً على مرور المؤسسة بأزمة حقيقية ربما تسارع بها إلى الانحدار والفشل، "فالاغتراب الوظيفي يعني توصل العاملين بالمؤسسة إلى قرار بأن المؤسسة التي يعملون بها لم تعد المكان المناسب للاستمرار في العمل معها لأسباب.

¹ منى أبو القاسم جمعة عبد الرحمن- مرجع سابق الذكر- ص 38.

² نبيل رمزي- علم الاجتماع المعرفة- ج2- الإيديولوجيا والوعي الاجتماعي- دار الفكر الجامعي- الإسكندرية- ط1- 1991- ص 109.

³ خليل أحمد خليل- معجم المصطلحات الفلسفية (عربي- فرنسي- انجليزي) سلسلة المعاجم العلمية- دار الطليعة- ط1- بيروت- 1998- ص 132.

⁴ منجي الصالح- الإسلام ومستقبل الحضارة- دار الشورى- بيروت- ط1- 1982- ص 143.

⁵ الخطيب سلوى عبد الحميد- نظرة في علم الاجتماع المعاصر- القاهرة- مطبعة النيل- ط2- 2009- ص 91.

⁶ شاخت ريتشارد- 1980- ص 151.

⁷ عبد المختار محمد خضر- مرجع سابق الذكر- ص 34.

3. مظاهر الاغتراب:

بعد التطور الذي حدث لمصطلح الاغتراب على مستوى المفهوم يلاحظ أن أعمال كل (كلاك 1959)، (ديفيز 1955)، (دين 1961)، (سيفان 1959)، كانت من أشهر المحاولات لنقل الاغتراب من مستوى المفاهيم إلى أبعاد يمكن من خلالها ترجمة المفهوم إلى مظاهر، مكونات وسمات.¹

وأصبح من الممكن اعتبار الاغتراب مفهوم متعدد الأبعاد أي يتشكل ويتكون من عدة مكونات أو أبعاد أو مظاهر، وفيما يلي أهم هذه المظاهر والتي حددها (سيمان ملفن 1959):

1.3. الإحساس بالعجز: هو إحساس الفرد أن مصيره وإرادته ليسا بيده بل تحددهما قوى خارجية عن إرادته الذاتية ومن ثمة فهو عاجز اتجاه الحياة ويشعر بحالة من الاستسلام والخضوع وأنه لا يستطيع التغيير في المواقف الاجتماعية التي يواجهها وهو يعجز في السيطرة على تصرفاته وأفعاله ورغباته، فهو لا يستطيع أن يقرر مصيره.²

يعني عجز الفرد عن التأثير في المواقف التي تصادفه أو اتخاذ القرارات المهمة أي الشعور بالاستسلام والخضوع، وهذا الشعور نابع من ذاته، أي إدراكه الشخصي بعجزه على مختلف المستويات، وبالتالي لا يتمكن من تحقيق ذاته وتقرير مصيره.

2.3. الإحساس باللامعنى: يتمحور حول فقدان الفرد للإحساس بوجود معنى للحياة، واللامعنى هو نوع من الضياع والعجز عن توجيه السلوك الفردي وعدم فهم النظام الاجتماعي وعدم إيجاد معنى له.

وهو إحساس الفرد أن الحياة لا معنى لها وأنها خالية من الأهداف التي تحقق أن يحي وأن يسعى لأجلها، ومن ثمة يفقد الهدف من وجوده وعمله ونشاطه، وفق معنى الاستمرار في الحياة، كما يشعر أن الحياة فقدت معناها، دلالتها ومعقوليتها.³

3.3. الإحساس باللامعيارية: يعتبر سيمان من أول وأهم من تعرض لموضوع اللامعيارية التي تعتبر حالة من فقدان المعايير والقيم السائدة بالمجتمع، اشتق سيمان هذا المصطلح من وصف (دوكايم) للحالة التي تصيب المجتمع وتوصف هذه الحالة بانهيار المعايير التي تنظم السلوك وتوجهه.⁴

وهو إحساس الفرد بالفشل في إدراك فهم وتقبل القيم والمعايير السائدة في المجتمع وعجم قدرته على الاندماج فيها نتيجة عدم الثقة بالمجتمع ومؤسساته المختلفة، ووصفها دوركايم في مصطلح الديومي وهي حالة انهيار المعايير التي تنظم السلوك وتوجهه وتحطم المعايير الاجتماعية المنظمة لسلوك الفرد.⁵

4.3. العزلة الاجتماعية: هي إحساس الفرد بالعزلة ومحاولة الابتعاد عن العلاقات الاجتماعية السائدة في المجتمع الذي يعيش فيه، أي أنها حالة يعيش فيها الفرد بالانتماء إلى الأمة والمجتمع كما يقصد بها شعور الفرد بالوحدة والفراغ النفسي، والافتقاد إلى الأمن

¹ منصور بن زاهي - الشعور بالاغتراب الوظيفي وعلاقته بالدافعية للإنجاز لدى الإطارات الوسطى لقطاع المحروقات - أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في علم النفس - 2006-2007 - جامعة منتوري - قسنطينة - ص 53.

² النطاوي أحمد - الاغتراب في المجتمع المصري المعاصر - القاهرة - دار الثقافة العربية - 1989 - ص 121.

³ السيد علي شتا - نظرية الاغتراب من منظور علم الاجتماع - عالم الكتب - الرياض - 1984 - ص 364.

⁴ مديحة - مظاهر الاغتراب لدى طلاب الجامعة - مجلة علم النفس - مصر - 1997 - ص 44.

⁵ بسام بنات وجمال سلامة - العولمة والتحدي الثقافي - دار الفكر العربي - بيروت - 2008 - ص 22.

والعلاقات الاجتماعية الحميمة والبعد عن الآخرين حتى وإن وجد بينهم، كما قد يصاحب العزلة الشعور بالرفض الاجتماعي والانعزال عن الأهداف الثقافية للمجتمع، والانفصال بين أهداف الفرد وبين قيم المجتمع ومعاييره.¹

5.3. الغربة عن الذات: هي بعد الفرد عن نفسه أو ذاته أو عدم الشعور بالرضا عن نفسه وعدم إدراكه لذاته الحقيقية، ويشير هذا المظهر إلى شعور الفرد بعدم القدرة على إيجاد الأنشطة المكافحة ذاتياً، فلا يستطيع الفرد أن يستمد الرضا من نشاطاته وصلته بذاته الحقيقية أنه إحساس الفرد بتباعده عن ذاته.²

6.3. الانسحاب: هو الابتعاد عن المواقف والأحداث التي يعجز فيها الفرد عن إيجاد حل لها وهو أحد وسائل الدفاع التي يلجأ لها الفرد للدفاع عن نفسه حين يعجز الفرد عن الابتعاد عن المواقف المهددة ومن ثمة يبعد عن نفسه القلق بأن ينسحب عن ذلك الموقف.³

7.3. الرفض: هو استنكار الفرد للأمور أو عدم قبول المواقف والسلوكات من الأشخاص الآخرين أو المجتمع، وهو اتجاه سلبي رافض ومعاد للآخرين أو عدم تقبل بعض السلوكات والنبد الاجتماعي والسخط والتمرد عليه، وحتى رفض الذات.⁴

8.3. التمرد: يعني عدم الاستماع لقوانين المجتمع وعدم العمل بها كذلك لعاداته وتقاليده، بالإضافة إلى الشعور بالكره والعداء لنفسه ولكل المجتمع، أي هو شعور الفرد بالبعد عن الواقع والخروج عن المألوف وعدم الانصياع للعادات والتقاليد والكره والعداء لكل ما يحيط به وقد يكون التمرد على النفس والمجتمع بجميع مؤسساته.⁵

4. الشباب:

1.4. زمنياً:

الشباب هم الأفراد الذين أعمارهم بين 16-25 سنة وتتسم مرحلة الشباب بالنضج وتحمل المسؤولية ويرفض فيها الشباب القيم القديمة.⁶

2.4. اجتماعياً: علماء الاجتماع يرون أن فترة الشباب تبدأ حينما يعمل المجتمع على تأهيل شخص لكي يشغل مكانة اجتماعية ويؤدي دوراً يساهم من خلاله في بناء مجتمعه ويصبح عنصراً مهماً في السياق الاجتماعي.⁷

إذن فهي مرحلة عمرية تميز الفرد بخروجه من مرحلة الطفولة ودخوله مرحلة النضج والمسؤولية والقدرة على تكوين شخصيته وأخذ قراراته وتحديد خياراته كذلك تحقيق ذاته وهويته.

5. الشباب والاغتراب:

¹ قيس النوري- الاغتراب اصطلاحاً- مفهومها وواقعها- مجلة عالم الفكر- مج10- ع1- جامعة الكويت- الكويت- 1979- ص 10.

² ياسع جميلة- أسباب الاغتراب الأسري لدى المراهقين- مذكرة لنيل شهادة الماستر في علم الاجتماع التربوي- المركز الجامعي بالبويرة.

³ نفس المرجع السابق.

⁴ عبد الله عبد الله- السلوك الاجتماعي وديناميكياته- دار المعارف الجامعية- الإسكندرية- 2008.

⁵ نفس المرجع- نفس الصفحة.

⁶ محمد مصطفى وآخرون- الخدمة الاجتماعية وتطبيقاتها في التعليم ورعاية الشباب- المكتب الجامعي الحديث- الإسكندرية- 1999- ص 190.

⁷ ماجد الزيود- الشباب والقيم في عالم متغير- دار الشروق للنشر والتوزيع- عمان- 2006- ص 12.

اختلف العلماء في تحديد الفترة العمرية لمرحلة الشباب حسب خلفية الباحث الثقافية والمتغيرات الاجتماعية والحضارية بكل مجتمع.

أشار فايز الحديدي إلى أن اغتراب الشباب شغل أذهان كثير من علماء الاجتماع وعلماء النفس والتربية وشهدت تدهور القيم من قلق لدى الباحثين والمفكرين، أدت في الوقت ذاته إلى الانعزال والضياع والانحرافات لدى الشباب المثقف. وكذلك فإن الشباب لم يعد لمواجهة التغيرات التي تحدث له أثناء البلوغ، ولم تجد التوجيه التربوي الإسلامي الصحيح، ولم تجد العقيدة الإسلامية التي تعينه على تحديد هويته، وتقبله لذاته وثقته بنفسه فإنه يتعرض لأزمات نفسية شديدة تعيقه عن الارتقاء النفسي وتجعله ينفصل عن العالم من حوله ويشعر بالاغتراب.

وكذلك نتيجة التغير الاجتماعي والاقتصادي والثقافي والصراع بين القيم والمعايير، مما أدى إلى التخلي أو الالتزام الشديد بالمعايير فعاش الإنسان في مجتمعنا صراعا ايديولوجيا عميقا أدى به إلى العزلة والانفصال عن الأشكال الاجتماعية السائدة، حيث أنها تؤثر فعلا في وجود الاضطرابات النفسية أو تكون سببا لوجود الأزمات النفسية ومنها ظاهرة الاغتراب.¹

6. نتائج الاغتراب السلوكية، الانسحاب أو الرضوخ أو التمرد أو الثورة:

1.6. الانسحاب أو اللامواجهة:

على أن يجد سبيلا آخر يجنيه تحمل أوضاعه، بكلام آخر قد لا يتمكن الإنسان من الاستمرار في معاشة اغترابه في علاقاته بالمجتمع والدولة والمؤسسات التي ينتمي إليها أو يعمل من ضمنها، ويدرك أنه لا يقوى على تغيير الواقع أو الرضوخ له ولو ظاهرا، فيحاول الانسحاب منه أو الهروب باحثا عن فرصة أخرى للخلاص من الوضع الذي يعاينه، وكثيرا ما يتم هذا الانسحاب بأشكال مختلفة مثل الهجرة خاصة من قبل الشباب (الحرقة)، أو قد يستمر بعضهم في بلدانهم، ولكنهم ينزلون بقدر المستطاع عن الشؤون العامة، وينغمسون في نشاطاتهم الخاصة من دون الاهتمام الظاهر بالقضايا العامة، ومن الملاحظ أن المثقفين يميلون في مراحل الشباب إلى أحزاب وحركات اجتماعية، غير أنهم كثيرا ما يصابون أيضا بخيبة الأمل ويقررون التخلي عنها ليدركوا بعد فترة أن الانسحاب بحد ذاته لا يشكل على الأغلب الحل الذي يطمحون إليه في نهاية المطاف، وكذلك من أنواع العزلة واللامبالاة وفي العلاقات العائلية، وفقدان الإيمان بالدين واللجوء بدلا من ذلك إلى الطائفية التي هي بذاتها تنكر للدين وقيمه الروحية، وتحول إلى التشرنق والانغماس في نشاطات التسلية التي تنسي المغترب معاناته.

2.6. الخضوع أو الرضوخ والاستسلام للأمر الواقع والتكيف معه:

على الأقل ظاهريا والنفور منه ضمنا عندما يستحيل الهرب ويرافقه تطلع إلى قدوم حالة ما من الفرج من نوع ما، وبهذا المعنى يشكل الرضوخ خيارا آخر كثيرا ما يلجأ إليه المغتربون أيضا بفعل اليأس والضعف والتمسك بقيم الصبر، ثم إن للخضوع لغة خاصة متوفرة في الثقافة السائدة، منها ظواهر التملق والمجاملة والتعجب والتقنية والتسويغ والتنازل والمساومة، وقد تؤدي هذه المسوغات في نهاية الأمر إلى الانسجام بدلا من الرفض والتنافر.

¹ عادل بن محمد العقيلي - مرجع سبق ذكره - ص 18.

3.6. التمرد والعمل الثوري: من عبء الاغتراب الاشتراك في النشاطات تهدف إلى تغيير المجتمع بالاصطلاح أو التمرد الفردي، فيواجه المجتمع أو المؤسسات والأنظمة.¹

يبدو لي أن الشباب العربي بصفة عامة والجزائري بصفة خاصة وفي الوقت الحاضر يميل إلى اختيار الانسحاب والرضوخ أما لأسباب يراها عملية في الأجواء والأوضاع السائدة أو لعدم استعداده للتعرض للخطر ودفع الثمن المطلوب فهناك في رأيي عدة عوامل سياسية واجتماعية وثقافية ونفسية في المجتمع العربي تضطر الإنسان المغترب إلى اختيار اللجوء إلى سبل التكيف أو الانسحاب أو الرضوخ على الخطر الذي قد ينتج من اختيار العمل الثوري.

فقد أكد حليم بركات في كتابه "المجتمع العربي في القرن العشرين" أن أهم مصادر الإحباطات العربية صعوبات من التمكن من العمل الفريقي في حل المشكلات المستعصية، وكذا التغير الاجتماعي الذي حدث في المجتمع، فأصبحنا لا نملك نقاط ثبات نرتكز عليها وشدد على مصدرين رئيسيين للاغتراب على صعيد المجتمع والثقافة، هما السيطرة المفرطة في علاقة المواطن بالدولة ومختلف المؤسسات الاجتماعية أو غياب السيطرة بسبب الخلل في القيم التقليدية.²

7. مفهوم الهوية:

هو إحساس الشخص وإدراكه لاختلافه عن الآخرين، أي هي "إحساس الشخص بذاته وتمايظه والقدرة على اتخاذ القرار ووضوح التصورات والثبات في الالتزام القيمي وتحديد أهدافه في الحياة".³

إذن الهوية هي إحساس الفرد الواعي بذاته من خلال تمييزها وتفردتها وشعوره بوجوده الفعلي كعضو له مجموعة من الأدوار والوظائف وأنه مقبول معترف به من طرف أفراد مجتمعه، وكذلك شعوره بانتمائه إلى مجتمع له خصوصياته الثقافية، الاجتماعية والتاريخية، بذلك الشعور بالاختلاف كما يشمل هذا التعريف قدرة الفرد على اتخاذ القرار والقدرة على موازنة ذاته مع قيم ومثل المجتمع.

8. محددات الهوية:

يأخذ الأفراد مكانتهم وأدوارهم الاجتماعية داخل هذا المجتمع وضمن عملية التفاعل وديناميكية العلاقات، إلا أن الإنسان يولد حاملا سلوكياته كما يكتسب سلوكيات أخرى، ومن خلال ذلك تتحدد هوية الفردين فحسب "هيغل" الهوية تنجم عن الاعتراف المتبادل للأنا والآخر، فهي نتيجة عملية صراعية تنشأ بين كل من التفاعلات الفردية والممارسات الاجتماعية الموضوعية والتطورات الذاتية.⁴

وحسب تصور "معلوف" للهوية فإن فروقات الحياة هي ما تولد الاختلاف، وفي هذا الاختلاف تتبلور هوية الإنسان، فالإنسان ليس من هو فوراً ولا يكتفي بإدراك من هو بل من هو عليه أي أنه لا يكتفي بإدراك هويته بل يكتسبها شيئاً فشيئاً....⁵

ومن خلال هذه التعاريف نستنتج أن الإنسان يكتسب أو تكون هويته من خلال نظريته وشعوره الشخصي لذاته، ومن خلال نظرة يكونها الآخرين عنه، أي أن الفرد يكون صورة وشعورا لهويته بكل أبعادها من جهة أخرى فالمجتمع والأفراد الآخرين يلعبون دورا

¹ حليم بركات- الاغتراب في الثقافة العربية متاهات الإنسان بين الحلم والواقع- مركز دراسات الوحدة العربية- بيروت- 2006- ص 81-83

² محمد مصطفى وآخرون- مرجع سبق ذكره- ص 190.

³ ابتسام محمود سلطان- التطور الخلقي للمراهق- دار الصفاء للنشر والتوزيع- عمان- 2009- ص 38 39.

⁴ طايبي رتيبة- الصراع الثقافي وتأثيره على هوية الشباب الجامعي في المجتمع الجزائري- أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه- الجزائر- 2008- ص 03.

⁵ رسول محمد رسول- محنة الاغتراب- المؤسسة العربية للدراسات والنشر- الطبعة الأولى- 2002- ص 104.

هاما في تكوين صورة عن هوية الفرد أو بالأحرى يعكس للفرد صورته الحقيقية التي من خلالها يستطيع تحديد هويته، ويقول في هذا السياق "لينف" أن علاقة الفرد بالآخر تعتبر بمثابة الوسيلة التي يعزز بها الفرد هويته الذاتية ويبنى بواسطتها صورته عن ذاته، وأنه لا يمكن الفصل بين الهوية الخاصة بالفرد والهوية الموجهة للآخر، ذلك لأن الفرد يريد دائما إثبات نفسه وتحقيق ذاتيته، وفرض شخصيته أمام الآخر.¹

والمقصود بالآخر هنا قد يكون فردا ومجتمعاً أو أسرة أو مختلف الجماعات التي يدخل معها الفرد في علاقات اجتماعية، فإن هذه الجماعات تسمح للفرد ببناء هويته وتحديدتها إبراز فرديته كما تمكنه من تصحيح هويته مما يمكنه من إعطاء بعد لذاتيته، فالهوية دائما تحتاج إلى الآخر مثلما تحتاج إلى الفرد ذاته من أجل تحقيق وجوده ومعنى لها، فهناك ارتباط قوي بين ذات الفرد والمجتمع أو الجماعات الأخرى، أي بين الصورة التي يكونها الفرد عند ذاته وبين الصورة التي يكونها الآخرون عنهن ولهذا استنادا إلى "لينف" وقول "معلوف" أنه يمكننا تعداد أهم محددات الهوية والمتمثلة أولا في: الصورة التي يكونها الفرد عن نفسه، أي نظريته شعوره وفهمه لذاته من جهة ومن جهة أخرى الصورة التي يكونها الآخرون عنه، والمتمثلون في الجماعات الأخرى المختلفة عن الفرد، والتي يتفاعل الفرد معه سواء كانت فردا أو مجتمعاً في ذاته، وبهذا الشأن يقول الباحث "رودريغز" أن "التكامل الموجود بين الذات والآخر يعد أكثر من شرط لأنه يبنى الشعور والإحساس بالهوية الشخصية، لذلك فإن الشعور بالذات هو في نفس الوقت واحد ومثنى لقوله يتضمن الذات والآخر.²

9. أصناف الهوية:

تم تصنيف الهوية من حيث الأبعاد التي تقوم عليها إلى الهوية الشخصية، أو ما يسمى بالهوية الفردية وهي تقوم أساسا على الإدراك الذاتي أو البعد النفسي.

والهوية الاجتماعية التي تقوم على البعد الاجتماعي والمتركة على الصورة التي يعطيها المجتمع للفرد وللحوية الثقافية القائمة على البعد الثقافي والهوية الوطنية.

1.9. الهوية الفردية:

أول باحث اهتم بالهوية الفردية في مجال العلوم الإنسانية هو الأخصائي في علم النفس الأمريكي "إريكسون" سنة 1950 وذلك في إطار البحث الذي أجراه حول الشباب المراهق حيث قام بتحليل مظاهر أزمة البحث عن الهوية الفردية أو الذاتية عند فئة العمر المتراوحة ما بين 12 و20 سنة وذلك على ضوء الثقافة الأمريكية والذي نشر تحت عنوان "المراهق وأزمة البحث عن الهوية" وقد حظيت إشكالية الهوية باهتمام كبير في مجال البحث العلمي بالولايات المتحدة الأمريكية، إذا تأملنا في مدلول الهوية الفردية أو الذاتية نجد أنه غالبا ما يستعمل هذا المصطلح للدلالة على الهوية الشخصية والتي تعني في الواقع شعور الفرد بفردانيته أي أنه هو نفسه وليس

¹ محمد مسلم - الهوية والعولمة - دار الغرب للنشر والتوزيع - ط1 - وهران - 2002 - ص 28.

² نفس المرجع - ص 29.

غيره ويبلغ هذا الشعور ذروته في مرحلة المراهقة ويبقى على ما هو عليه في الزمان ويشعر بوجوده المختلف عن غيره فهذا الاختلاف بالذات هو الذي يعرفه بنفسه وهو يتحرك ضمن ثقافته الكلية وثقافته الفرعية.¹

ومن هذا المنظور فإن الهوية تتضمن القطب الفردي المتمثل في الأنا الذي يوافق فيها "دوركايم" بكائننا لا فردي حيث يتكون هذا الكائن مزاجنا وطبعنا ووراثتنا ومجموع الذكريات والتجارب التي تشكل تاريخنا الخاص وخلال ذلك القطب الاجتماعي الذي يظهر تشابها مع الغير فإن القطب الفردي يشهد على تفرده وتميزنا، وبالتالي اختلافاتنا مقارنة بالغير.²

يستمد الفرد من المجتمع إذ أن المجتمع هو الذي يفرض عليه هويته من خلال الموقع الذي يحدده للفرد داخل النسيج الاجتماعي، فالفرد داخل الجماعة الواحدة يبحث عن هوية متميزة ومستقلة.

استنادا إلى ما سبق يمكن القول بأن الهوية تتأثر بالهوية الجماعية أي إدراكه الخاص للطريقة التي يراه بها الآخرين³ في هذه الحالة فالهوية الفردية ناتجة عن التعايش الاجتماعي الناتج عن سوء الاندماج أو التكيف ومن هنا يظهر ما يسمى بالاغتراب بسبب التناقضات المختلفة داخل الجماعة.⁴

2.9. الهوية الاجتماعية:

يتفق المؤلفون عامة في تعريف الهوية الاجتماعية أنها الوعي بالانتماء لجماعات اجتماعية معينة بينما الهوية الفردية التشكل تكملة مجموع التصورات والمشاريع المرتبطة بالذات.

تعرف الهوية الاجتماعية على أنها مظهر من الذات ناتج عن وعي الأفراد بانتمائهم إلى جماعات اجتماعية محددة ويعبر عنها من خلال الدلالة العاطفية لهذا الانتماء فهي ناتجة عن إدماج وتموضع الفرد في محيطه الاجتماعي وترجم عن طريق الانتماء وكذا المشاركة في الجماعة والمؤسسات الاجتماعية التي تبرز من خلال ممارسة الفرد لأدواره المحددة اجتماعيا.

وعليه فإن الهوية الاجتماعية تستمد من العضوية في الجماعة، ولأن الأفراد بحاجة للمحافظة على الجماعة فالعلاقات الاجتماعية متباعدة وتقع بين حدين إحداها الهوية الاجتماعية والتي تعني وجود فرد ضمن المجموعة والآخر يكمن في الهوية الشخصية والتي تعكس مفهوم الذات والتميز عن الآخرين وتعد عضوية الجماعة عنصر هام وأساسي اجتماعيا في تكوين هوية الفرد الاجتماعية، فالهوية الاجتماعية تعتبر بذلك بمثابة جزء من مفهوم الشخص الذاتي بحيث يرى الباحثان "تاجفان" و"تورنور" أن تشكل الصورة الذاتية مركب من الهوية الذاتية وكذا الهوية الاجتماعية، ويمكن للفرد أن يحسن صورته الذاتية من خلال تعزيز الهوية الذاتية أو الهوية الاجتماعية.

إن الهوية لا تكتسب معنى أو مدلولاً حقيقياً إلا في ضوء مواجهتها مع الآخر، وهذا الآخر يمكن أن يكون فرداً، جماعات أو مجتمعات أو فئات اجتماعية مختلفة، لها تأثير بموجب تفاعلها داخل المجتمع والفرد، يستطيع بناء محيطه الوجداني والنفسي وهويته عبر احتكاكه بالجماعة أو الفئات الاجتماعية التي يعيش معها، وذلك من خلال عملية التنشئة الاجتماعية التي من خلالها يتعلم قيم

¹ محمد العربي ولد خليفة- المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية- ديوان المطبوعات الجامعية- ط1- الجزائر- 2003- ص 95 96.

² Robert campeau - individu et société introduction a la sociologie- egaeitanmorin- paris- 193- p 71.

³ رشاد عبد الله الشامي- إشكالية الهوية في إسرائيل- عالم المعرفة- الكويت- 1997- ص 10.

⁴ Ben Meziane thaalabi- l'indentité au Maghreb- l'errance- casbah- Edition- Alger- 2000- p 22.

ومعايير ونظم المجتمع "إن الهوية الاجتماعية للفرد مرتبطة بمعرفته لانتمائه إلى فئات اجتماعية معينة، كما أنها مرتبطة كذلك بالدلالة الوجدانية التي تتمخض عن هذا الانتماء.¹

ومن هذا المنطلق فإن الانتماء إلى فئة أو إلى مجموعة تتولد عنه نتائج مرتبطة مباشرة بالاعتراف بالهوية الاجتماعية، فالهوية الاجتماعية أو كما يسميها البعض من الباحثين الهوية الجماعية أساس كل أنواع الهويات فهي ترسي الشعور بالهوية من خلال الشعور بالانتماء على أن الهوية الجماعية تعد بمثابة المشاركة الوجدانية الجماعية وعنصر تجانس وتماسك المجتمع، وبهذا يبدو واضحاً أن الهوية الاجتماعية تضمن استمرارية الجماعة أو المجتمع كما ترسم في الزمن حدود الجماعة داخل وسطها الطبيعي والاجتماعي علاوة على ضبط انتماء الأفراد للمجتمع.²

9.3. الهوية الثقافية:

لقد تمت دراسة الهوية الثقافية من الناحية النظرية في اتجاهين أساسيين هما: الاتجاه الموضوعي والاتجاه الذاتي، حيث جاء عن ممثلي الاتجاه الموضوعي أن هناك تطبيقاً بين مفهوم الثقافة ومفهوم الهوية، فهم يرون أن الثقافة تعد بمثابة طبيعة قانية للفرد التي يتلقاها وكأنها وراثية تدخل في تكوينه الجيني ويفترض هذا الاتجاه من الناحية المنهجية أن الأفراد هم مجرد موضوع الهوية، وكأنهم في ذلك وفي المقابل يرى أصحاب الاتجاه الذاتي أن الهوية تتجاوز بعدها المتوارث والمنقول وكأنها في حالة سكون نهائي، فهي تنقل آلياً من جيل لجيل وعلى مستوى مجموعة من البشر، بحيث يؤدي ذلك إلى وجود جماعات ذات سمات شخصية متطابقة.

"فالهوية في نهاية المطاف ليست أكثر من إحساس بالانتماء والتعلق بمجموعة تتحول عن طريق التجريد إلى إطار تخيلي".³

10. دور مؤسسات التنشئة في إيجاد الهوية الوطنية:

تعتبر الأسرة أول وأهم المصانع الاجتماعية التي تنتج الوجدان الثقافي الوطني بواسطة شبكة القيم التي توزعها من خلال التربية أو التنشئة الاجتماعية على سائر أفرادها وتلقينهم إياها بوصفها الآداب العامة الواجب احترامها والمقدسات التي يتعين التزام الإيمان بها وكما يتلقن الطفل في هذه المؤسسة التكوينية من مؤسسات الإنتاج الاجتماعي، لقننه مبادئ عقيدته والمؤسسة للشعور الأنا الجماعي، أي هوية الجماعة الوطنية التي تنتمي إليها وقد تهتز في مراحل الشباب أي في لحظة الانفصال عن مرجعية الأسرة، ثقة الفرد الاجتماعي في سلطة الأب وفي شرعيتها أو قد يتعرض اعتقاده الديني إلى أزمة شك أو قد يختلط عليه شعور الخنق على النظام السياسي والاجتماعي بالخنق المجحف.⁴ وتمثل المدرسة مؤسسة الإنتاج الاجتماعي الكافية التي تستأنف عمل الأسرة وتنتقل بأهدافها إلى مدى أبعد من حيث البرمجة والتوجيه، ولما كانت المدرسة أسرة ثانية للناشئة تمارس الوظائف التربوية عينها، غير أن مواطن القوة فيها أنها تفعل ذلك على نحو متميز ففضلاً عن قدرتها على صقل تكون الفرد الاجتماعي وتنمية ملكة التحصيل والإدراك لديه بدرجة لا يستطيعها الفعل التربوي الأسري "تفرد لكونها تنتقل بوعيه من حدود الجماعة الطبيعية" إلى رحاب الجماعة الوطنية، وعند هذه العتبة بالذات

¹Tajfel- la catégorisation social- in Moscovici- 1973- p 292.

² محمد عابد الجابري- نحن والتراث- المركز الثقافي العربي- دار الطليعة- بيروت- 1980- ط1- ص 26.

³ محمد العربي ولد خليفة- مرجع سبق ذكره- ص ص 115- 116.

⁴عبد الإله لعزیز- العولمة والهوية الثقافية- عولمة الثقافة أم ثقافة العولمة- المستقبل العربي- عدد 229- السنة العشرون- آذار- مارس- مركز الدراسات الوحدة العربية- بيروت- ص 93.

وطنية أو أساسيات تلك الثقافة أي من خلال توحيد الإدراك ومركزيته على برنامج تكوين عام على صعيد الوطن برمته أو من خلال بث وتكريس مجموعة من المبادئ التي تؤسس لقيام وعي الأنا الجماعي (الوطن).¹

والمحيط الاجتماعي لا يقل أهمية عن كل من الأسرة والمدرسة، ففي ضوء التغيرات الجذرية التي يعرفها المجتمع في الوقت الراهن، والمجتمع الجزائري اليوم يواجه تحديات الحداثة وعملية العولمة التي تسقط حواجز الأفكار الهويات، ويدخل المجتمع الجزائري جدل النسبة والخصوصية والبحث عن الهوية المميزة تارة بالهوس الديني وتارة أخرى بالتعصب العرقي الغوي، وهذا في ظل ثقافة عالمية نتيجة ثورة الاتصالات والغزو المتواصل من الأفكار والمعلومات والصور والقيم القادمة من الخارج والتي لم نشارك في إنتاجها ولا تتفق غالبا مع ثقافتها، والتي ترميهم في عوالم التناقض فيها إلى أبعد الحدود والآمال والإمكانات والحاجات والقدرات والأحلام والوقائع والذاتيات والموضوعيات، ويطراف ضياع المراكز والمرجعيات عند المجتمعات لتفجير أزمات الهوية التي أصبحت من المسائل الرئيسية التي تواجه التفكير الإنساني اليوم وعلى المستوى العالمي".²

أزمة الهوية في المجتمع الجزائري ناتجة عن المشاكل الاجتماعية التي يعانيها أفراد المجتمع الناتجة وعن الصراعات الإيديولوجية والثقافية التي تتمحور عن حل مشكلة العلاقة بين التراث والممارسات العصرية، أو قيم الأصالة والحداثة، وما بعد الحداثة كما يقول علي حرب: "تجاذب الوعي بالهوية الاجتماعية والثقافية ما يمكن تسميته ثلوث القدامة والحداثة، وما بعد الحداثة أو بصيغة أخرى ثلوث الأصولية والعالمية والعولمة، وفي المجال العربي الأخرى تسميته ثلوث الأسلمة والإنسانية والعولمة".³

وتوجد العديد من المؤسسات التي يمكن أخذها بعين الاعتبار في مجال التنشئة الاجتماعية والتي يمكن أن يكون لها الأثر في تكوين أو تحديد الهوية الوطنية بتحديد إضافة إلى تحديد قيم الفرد الاجتماعية ومن بينها المسجد ووسائل الإعلام إلى غيرها من المؤسسات.

● خاتمة:

إن الهوية الوطنية هي أساس وجود الفرد وبقائه وهي انعكاس لقيمه وعاداته وأخلاقه وانتمائه، فالهوية الوطنية تحدد بناء على توفرها على عدة مقومات كالقيم والتقاليد واللغة، إذا كان التمسك بالهوية الوطنية مسؤولية تقع على عاتق الجميع فإن الحفاظ عليها هو التحدي الأكبر الذي يقع على عاتق الشباب باعتبارهم صناع المستقبل والتغيير وبناء الوطن.

فمعاناة الشباب من الاغتراب الاجتماعي تؤدي إلى عدم القدرة على التصرف وفق المقاييس المتعارف عليها أخلاقيا واجتماعيا والشعور بالبعد عن الأهداف الحضارية والاجتماعية لمجتمعهم ووطنهم.

الأمر الذي يؤدي إلى بروز حواجز نفسية اجتماعية تسبق المسافات التفاعلية بينهم وبين المجتمع، والتي تؤدي إلى ضمور التواصل وبالتالي انفصالهم عن المجتمع والوطن وهذا يؤدي إلى فقدان الانتماء إلى الوطن والشعور بالهوية الوطنية، ففقدان الشعور

¹ عبد الإله لعزیز - مرجع سبق ذكره - ص 94.

² باسم علي خرسان - العولمة والتحديات الثقافية - دار الفكر العربي - ط1 - بيروت - 2001 - ص 124.

³ علي حرب - حديث النهايات فتحات العولمة - مآزق الهوية - المركز الثقافي العربي - ط1 - دار البيضاء - بيروت - 2000 - ص 12.

بالانتماء من أخطر ما يهدد أي مجتمع وأي فرد، علاقة الفرد بالوطن ذات مضامين اجتماعية يؤثر ويتأثر بها ومعاناة الشباب من الاغتراب الاجتماعي يهدد هويته الوطنية ووجود الوطن مستقبلة.